فضـائل رمضـان وخصـائص الصيام

إخوة الإيمان: الْحَمْدُ للهِ إن الخالق جل وعلا لجميع المخلوقات، قد فضَّل بعضها على بعض، واختار منها ما شاء، فخلق الناس واختار منهم الأنبياء، وخلق الأماكن واختار منها المساجد، وخلق الشهور واختار منها رمضان، قال تعالى: وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ، ومن حكمة الله سبحانه أن جعل أمكنة أفضل من غيرها من الأمكنة، وأزمنة أفضل من غيرها من الأزمنة، فكان من الأزمنة شهر رمضان هو أفضل الشهور، اختصه الله بفضائل عظيمة ومزايا كبيرة، ففيه أنزل الله القرآن، و هو الشهر الذي فرض الله على العباد صيامه، وسن الرسول صلى الله عليه وسلم قيامه، فحري بالمسلم الفطن أن يعرف حق هذا الشهر ويقدره حق قدره، وأن يغتنم أيامه ولياليه، عسى أن يفوز برضوان الله، فيغفر الله له ذنبه و ييسر له أمره، ويكتب له السعادة في الدنيا والآخرة ، ودعونا نتعرف عن فضائل شهر رمضان.

لقد تفضل الله تعالى علينا بشهر كريم كلُه خير ونور ورحمة فيه أنزل القرآن الذي كان ولا زال هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، ولقد خص الله تعالى شهر رمضان بخصائص وفضائل جمة ميزته عن باقي الأشهر، ولعل أهم هذه الخصائص والفضائل لهذا الشهر الفضيل

أولاً: أنه شرع فيه الصيام، والصيام سبيل من سُبل الجنة وبابٌ من أبوابها، أخبر المصطفى صلى الله عليه وسلم، أن في الجنة باباً خاصاً بالصائمين لا يدخل منه غيرهم، ففي الحديث المتفق عليه عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن في الجنة باباً يقال له: الريَّان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لاَ يدخلُ مِنْه أَحدٌ غَيرهُم، يقالُ: أَينَ الصَّائمُونَ؟ فَيقومونَ لاَ يدخلُ مِنهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فإذا دَخَلوا أُغلِقَ فَلَم يدخلْ مِنْهُ أَحَدٌ متفقٌ عَلَيْهِ

ثانيا: الصيام يشفع للصائم يوم القيامة: فقد ورد في فضائل صوم شهر رمضان أنه يَشفع لصاحبه يوم القيامة، فقد روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الصيام والقرآن يَشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشراب والشهوة بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: أي رب منعته النوم بالليل فشفعني فيه، قال: فيُشَفَّعان،

ثالثا: ثواب الصيام مطلق غير مقيد، إذ يُعطى الصائم أجره بغير حساب، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به، وفي رواية عند مسلم: كل عمل ابن آدم يضاعف ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل: إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي، فاختص الله الصوم لنفسه من بين سائر الأعمال؛ لشرفه عنده؛ وميزه عن كل العبادات، لأنه سر بين العبد وبين ربه لا يطلع عليه أحد إلا الله،

رابعا: الصيام سببُ السعادة في الدارين: ففي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: للصائم فرحتان يفرحهما: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، فعند فطره، يفرح بما أنعم الله عليه من القيام بهذه العبادة وإتمامِها، وبما أباح الله له من الطعام والشراب الذي كان ممنوعاً منه حال صيامه ، وعند لقاء الله يفرح حين يجد جزاء صومه كاملاً في وقت هو أحوج ما يكون إليه،

خامسا: ففي الصيام رائحة أطيب من ريح المسك، أي من فضائل الصيام أن خلوف فم الصائم -وهي الرائحة المنبعثة من فمه نتيجة خلو المعدة من الطعام- أطيب عند الله تعالى من ريح المسك، فهذه الرائحة وإن كانت مكروهة عند الخلق، إلا أنها محبوبة عند الله جل وعلا؛ لأنها من آثار العبادة والطاعة، وهي دليل على عِظم شأن الصيام عند الله، نقول، لَخُلُوف فم الصائم بضم الخاء ، ولا نقول لخَلوف فم الصائم بفتح الخاء، لأن الخُلوفَ بضم الخاء تغيرُ رائحة الفم، أما الخَلُوف بفتح الخاء فهو الذي يَعِدُ ثم يُخلِفُ ومن فضائل الصيام أنه جُنة أي وقاية وسترمن عذاب الآخرة، أو وقاية تُتقى به الآفات والمخاطر والمفاسد ، فقد أخرج البخاري في صحيحه: أَنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم، قالَ: الصِّيَامُ جُنَّةٌ فلا يَرْفُثْ ولَا يَجْهلْ، وإنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ وَالَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِن رِيحِ المِسْكِ يَتْرُكُ طَعَامَهُ وشَرَابَهُ وشَهْوَتَهُ مِن أجْلِي الصِّيَامُ لِي، وأَنَا أجْزِي به والحَسَنَةُ بعَشْرِ أمْثَالِهَا إلى سبعمائة ضعف، إلا الصيام فهولي وأنا أجزي به، والجُنة بضم الجيم معناها: الوقاية والستر، فهو أي الصيام وقاية من عذاب النار، ومما يدل على ذلك الحديث الذي أخرجه النسائي بلفظ: الصيام جُنة من النار، كجُنة أحدكم من القتال، فالصيام جُنة وحصن حصين من النار، وفي حديثِ أبي عبيدة بن الجراح: الصيام جنة ما لم يَخرِقها، وزاد الدارمي: ما لم يخرقها بالغيبة، لذا ينبغي للصائم أن يصون صيامه مما يفسده ويُنقص ثوابه، فالصيام سترة من الآثام في الدنيا ومن النار في الأخوة، وقال ابن العربي: إنما كان الصوم جُنة من النار، لأنه إمساك عن الشهوات، والنار محفوفة بالشهوات، فالحاصل أيها الإخوة: أن الصائم إذا كف نفسه عن الشهوات في الدنيا كان ذلك ساترا له من النار في الآخرة، فالصوم يربي الإنسان على حفظ الجوارح من الآثام، والابتعادِ عن كل ما يُغضب الرحمن، قَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما: إِذَا صُمْتَ فَلْيَصُمْ سَمْعُكَ، وَبَصَرُكَ، وَلِسَانُكَ عَنِ الْكَذِبِ وَالْمَحَارِمِ، وَدَعْ أَذَى الْخَادِمِ، وَلْيَكُنْ عَلَيْكَ وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ يَوْمَ صِيَامِكَ، وَلَا تَجْعَلْ يَوْمَ فِطْرِكَ وَصَوْمِكَ سَوَاءً [أخرجه البيهقي في فضائل الأوقات] فمن أعظم حِكَمِ الصوم تحقيقُ التقوى التي هي دوام مراقبة الله تعالى في السر والعلانية

خطبة الجمعة ليوم 15 مارس 2024 م